كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز، فاس

سوسيولوجيا التنظيمات

ذة. بنكيران وسيلة

المحاور الأساسية

التاريخ الاجتماعي للمؤسسات المقاولاتية

1- النظريات الكلاسيكية لعلم اجتماع التنظيم

-التايلورية و الإدارة العلمية

-الفايولية و التكوين الإداري

-التنظيم البيروقراطي عند فيبر

2- مدرسة العلاقات الإنسانية

إلتون مايو و أتباعه

3- المدرسة النيوكلاسيكية

-ألفريد بريتشارد سلوان

-بيتر فيرديناند دروكر

4- المقاربات السوسيولوجية المعاصرة

-التحليل الاستراتيجي عند ميشيل كروزيي

-التنظيم عند آلان توران

5- دراسات تطبيقية في علم اجتماع التنظيم

-العلاقات الإنسانية و الرضا عن العمل عند براون

-نماذج من التحليل الاستراتيجي

التنظيم البيروقراطي عند ماكس فيبر

مقدمة

يمكن القول أن هناك شبه إجماع بين المشتغلين في علم اجتماع التنظيم على أن ماكس فيبر يعتبر من الأوائل الذين ساهموا مساهمة كبيرة من خلال تقديمه نظرية منظمة شاملة في التنظيمات البيروقراطية. فقد أقام فيبر عددا من الخصائص الإجرائية والبنائية للبيروقراطية، واتسمت أفكاره بتقسيم دقيق للوظائف والقواعد والمبادئ للأداء الوظيفي.

ويرجع اهتمام ماكس فيبر بالبيروقراطية إلى ما كانت تمثل في وقته، على أنها الصفة المميزة للمجتمع الحديث بمقارنته بالمجتمعات السابقة وخاصة الأشكال التقليدية منها، ولأنها كانت تمثل الوجه المميز للعقلنة والترشيد. وكان يرى في البيروقراطية على أنها قادرة على تحقيق أعلى درجات الكفاءة والفعالية، ومن هنا اكتسبت أهمية ومكانة مرموقة ودفعته لتحليلها والتنظير فيها.

ماكس فيبر (1864- 1920 م)

هو عالم ألماني في القانون، الاقتصاد والفلسفة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة.
كان لماكس فيبر الأثر البالغ في إغناء النقاشات في سوسيولوجيا التنظيمات من خلال أعماله بخصوص النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي.
و يعد كتابه «الاقتصاد والمجتمع» من أشهر كتبه في دراسة التنظيم.
و من أهم منشوراته نذكر كذلك: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

مفهوم البيروقراطية

اعتقد ماكس فيبر أن البيروقراطية قد أصبحت تمثل الخاصية المميزة للمجتمع الصناعي الحديث. وكان اهتمامه منصب بالأساس على المقارنة بين البيروقراطية و أشكال التنظيم الموجودة في المجتمعات ما قبل الصناعية.

وهو ما جعله يعد من الذين أسهموا في وضع نظرية في السلطة البيروقراطية، وقد ركزت أعماله السوسيولوجية على نماذج السلطة بحيث تعتبر البيروقراطية أحد نماذج السلطة.

البيروقراطية كلمة مركبة من شقين : الأول بيرو وهي تعني مكتب والثاني قراطي وهي مشتقة من كلمة إغريقية ومعناها القوة. والكلمة في مجموعها تعني قوة المكتب أو سلطة المكتب.

تعتبر البيروقراطية أحد أنماط التنظيم المعقد. فكل التنظيمات الكبيرة الحجم تتطلب تنظيما دقيقًا من حيث تقسيم العمل، لأن تقسيم العمل والتخصص يعملان على زيادة المهارة وتحقيق الكفاءة والفعالية في العمل.

البيروقراطية و الترشيد

اعتقد ماكس فيبر أن التنظيمات البيروقراطية أصبحت هي المؤسسات المسيطرة على المجتمع الصناعي المتقدم. وكان يرى بأن البيروقراطية تنظيم بهيرارشية فيه مسؤولين دائمين يتقاضون رواتبهم بانتظام ويشكلون سلسلة من القيادة. علما بأن البيروقراطية تهتم بأعمال الإدارة، أي الرقابة والتسيير والتنسيق لسلسلة معقدة من المهام والواجبات.

وقد أصبحت التنظيمات البيروقراطية تهيمن بكثافة على المشهد المؤسساتي: في كل من إدارة الدولة والأحزاب السياسية ومنشآت الأعمال، الجيش وقطاع التربية فكلها تخضع في تنظيمها إلى أساس واحد هو البيروقراطية.

وقد استخدم فيبر مفهوم الترشيد لإضفاء الصبغة العقلانية على الفعل باحثا عن أفضل الطرق للأداء، وليحدد به شكل النشاط الاقتصادي الرأسمالي والسلطة البيروقراطية، ويفهم آثار التقدم التقني والعلمي وانعكاساته على الهياكل التنظيمية للمجتمعات المتطورة.

البيروقراطية و السلطة

حدد فيبر ثلاثة أشكال للشرعية التي تنبثق من ثلاثة نماذج للفعل الاجتماعي: الفعل العاطفي والتقليدي والقانوني أو العقلاني. وكل من هذه النماذج يشكل دافعا ومحركا معينا للطاعة.

وهذه النماذج هي السلطة الروحية والتقليدية والعقلانية أو القانونية.

وكل واحدة منها تظهر في شكل معين من البناءات التنظيمية الهيرارشية المنظمة.

فقد أقام فيبر أنماطا محددة للشرعية التي من خلالها قدم شكل السلطة ونوعها:

1- السلطة الروحية

2- السلطة التقليدية

3- السلطة العقلانية

البيروقراطية و السلطة

1- السلطة الروحية:

ترتكز السلطة الروحية أو الكاريزمية على الو لاءات البطولية أو تقديس الشخصيات المثالية أو الاستثنائية. بحيث تستند السلطة فيه على قائد ملهم يتمتع بسمات نادرة يصبح بمقتضاها قائدا أو زعيما. وأن السمات والخصائص التي يتوفر عليها القائد أو الزعيم تجعله متفردا بها ومميزة له ويمتلكها بالفطرة.

ومن أمثلة من هذا النموذج القادة في الحروب والزعماء الروحيين.
فقد وجد فيبر أن السلطة الروحية تمثل قوة ثورية لا تؤمن بالقيم التقليدية و تهدد النظم المستقرة 'حسب تعبيره' وأن الإعجاب الشديد بقدرات القائد يفضي إلى التهاون بالنظام والاستخفاف بالقواعد.

وما يترتب عن ذلك عند وفاة القائد هو أن المجتمع يواجه طروفا استثنائية، بحيث يصبح مطلب التنظيم ضرورة ضاغطة يفرضها الفراغ الذي تركه القائد الروحي.

البيروقراطية و السلطة

2- السلطة التقليدية:

تشكل السلطة التقليدية البناء التنظيمي الذي ينبثق من النموذج الثاني للسلطة. وتقوم هذه السلطة التقليدية على العائلة بما فيها الأقارب وغيرهم، كما تقوم على أسس تقليدية وتعتمد على الاعتقاد في قداسة التقاليد والأعراف القديمة وعلى مشروعية مكانة من بيدهم السلطة.

فمثلا هؤلاء القادة الذين يتصرفون وفقا لمكانتهم الوراثية. وكثيرا ما تأتي أوامرهم تعبيرا عن الرغبات الشخصية المتوافقة مع العادات و التقاليد و الأعراف.

و أوضح فيبر أن السلطة التقليدية تسعى باستمرار إلى إقرار النظام الاجتماعي القائم و استمراره، و أنها بذلك تواجه صعوبات حينما تجد نفسها إزاء أي تعديل أو تغيير اجتماعي.

البيروقراطية و السلطة

3- السلطة العقلانية:

تقوم السلطة القانونية أو العقلانية على أساس الرشد والعقلنة، تنبع من الاعتقاد في التواعد والمعايير الموضوعية البعيدة عن الاعتبارات الشخصية، حيث يسود الاعتقاد الرسمي في تفوق المعيار القانوني و صوابه.

و ترجع طاعة الأفراد للقانون لا إلى السلطة التقليدية ولا الروحية ، ولكن تر جع أساسا إلى اعتقادهم في الإجراءات والقواعد الملائمة، التي يحترمها الحكام والأفراد.

وتفترض هذه السلطة وجود مجموعة رسمية من المعايير الاجتماعية تتولى تنظيم السلوك تنظيما رشيدا.

ولهذا اعتبر فيبر أن تطور وانتشار البيروقراطية ينسجم ويتوافق مع نمو وتطور المجتمع الرأسمالي الحديث بصفة خاصة والحضارة الغربية بصفة عامة.

وقد رسم فيبر أبعاد هذا النموذج الذي رأى فيه أنه يمثل أكثر الآليات أهمية في الإدارة، بحيث يقوم مسؤول التنظيم الذي يحظى بأعلى منزلة في الهيرارشية بمراقبة وتوجيه كل الأمور.

خصائص النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي

حدد فيبر الميادين المختلفة التي يستطيع فيها تطبيق هذا النموذج في التنظيم فحصرها في مجال الأعمال الموجهة للربح، أو المشاريع الخاصة والتنظيمات السياسية والعسكرية والدينية والخيرية.

ويمثل هذا النموذج أداة أكثر عقلانية وترشيدا في إدارة التنظيمات الكبرى التي أصبحت سمة مميزة للعصر الجديد ويقوم عليها النظام الاجتماعي الجديد.

وتتمثل أهم سمات وخصائص النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي عند فير فيما يلي:

-تنظيم متواصل للمهام والوظائف الرسمية تحكمها قواعد

-هيرارشية في تنظيم المناصب أي أنها تقوم على مبدأ التدرج الهرمي

-ضرورة تدوين كل الإجراءات الإدارية و القرارات الرسمية

-وجود قواعد و معايير تقنية تنظم متطلبات المنصب

-تسيير إدارة المكتب وفق قواعد عامة غير شخصية.

الانتقادات

أجمع دارسو التنظيمات على انتقاد فيبر لكونه بالغ في نموذجه للبناءات التنظيمية وعزوفه عن العمليات الداخلية للتنظيم، و ذلك من خلال تأكيده على الجوائب الرسمية والمظاهر النظامية لها، متجاهلا بذلك التطرق إلى العلاقات الاجتماعية غير الرسمية التي تتشكل في التنظيم وتلعب دورا أساسيا في تحديد طابع وأداء الوظائف دون إيعاد اهتمام فيبر بدعم النظام الرأسمالي و ارتباطه بالأيديولوجية القائمة في المجتمع الرأسمالي، فإن هذا البناء احتوى على جوانب كبيرة تأسست عليها جهود كثيرة لاحقة في تحليلاتها للتنظيمات.

إن تركيز فيبر على إسهام العناصر التنظيمية المختلفة على أنها قادرة على تحقيق الفعالية التنظيمية، جعله يتجاهل دور المعوقات الوظيفية التي تتكون منها هذه العناصر.

وهذا ما دفع بميرتون إلى أن يرى أن النموذج المثالي يفتقد إلى الموازنة الضرورية بين الوظيفية والخلل الوظيفي.

حسب ميرتون ، إن تأكيد فيبر على السلوك العقلاني والعلاقات غير الشخصية في البناء البيروقراطي نجم عنه أن جاء هذا البناء خاليا من التطرق الى العلاقات الشخصية والاعتبارات غير عقلانية .

خلاصة

خلص فبير إلى وجود اتجاه وتطور حتمي نحو التحول البيروقراطي في العالم الرأسمالي الحديث. ورأى بأن هذا التحول نحو البيروقراطية مرتبط بظهور وانتشار أنماط للسلوك والتفكير في جميع مجالات الحياة الاجتماعية ويرجع كذلك إلى انتشار النزعة العقلانية التي تدل على معرفة أبعاد الواقع نظريا من خلال مفاهيم مجردة وذات تحديد دقيق، والتوجيه المنظم نحو تحقيق الأهداف بعد فحص الوسائل الممكنة وتمييزه.

ومن نتائج التشبث بالعقلانية هو التطور العلمي وانتشاره، و التأكيد على استخدامه كنسق فكري يحدد ويوجه السلوك والعمل، والإقلاع عن استخدام التفسيرات و الأفكار الميتافيزيقية . وهكذا يمكن القول أن فيبر كان واعيا ببعض النتائج السلبية التي تصاحب التحول نحو البيروقراطية، وخاصة تأثيرها على الديمقراطية والحرية الفردية.

رغم الانتقادات الكثير ة التي وجهت إلى خصائص النموذج المثالي لفبير على اعتبارها غير مطابقة للواقع، لا يزال النموذج المثالي يمثل إطارا تصوريا نظريا منظما تعامل معه كتاب كثيرين سواء بالتنقيح أو التعديل ليتلاءم مع الواقع.

لائحة المراجع

لحبيب المعمري. التنظيم في النظرية السوسيولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، 2009

عبد الكريم القنبعي الإدريسي. الثقافة المقاولاتية، منشورات مقاربات، فاس، 2013

محمود الجوهري، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،2009

- Bernoux.PH., La sociologie des organisations, Paris, le seuil, 1986
- Crozier.M., Le phénomène bureaucratique, Paris, le seuil, 1964
- Crozier M. Fridberg Ehart, L'acteur et le système, Paris, Seuil, 1977.
- Sainsaulieu.R. , Sociologie des organisations et des entreprises, Paris, Presse de la fondation nationale des sciences politiques, 1987